محاضرة رقم02: الإصلاح الديني في أوروبا

أولا: جذور ودوافع الإصلاح الديني في أوربا:

لحركة الإصلاح الديني في أوربا جذور في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حيث تعرّضت هذه الأخيرة لعدة أخطار كانت تتجاوزها على مدى القرون الوسطى ومطلع العصر الحديث، وقد تزايدت المشاكل والتحديات التي تواجه الكنيسة ومنها:

1- الخلافات العميقة حول المسائل الدينية، وخطر ظهور الإسلام، ثم فتح القسطنطينية في أواخر القرن الخامس عشر، ثم زحف المغول من الشرق إلى قلب أوروبا.

2- كان البابا يجمع بين الصلاحيات الدينية والدنيوية، وأصبح بلاطه مليء بالتّرف والبذخ والانحراف، وقد فقدت البابوية هيبتها في القرن الرابع عشر بين سنتي (1305-1377) بعدما انتخب مجلس الكرادلة بفرنسا؛ رئيس أساقفة بوردو ليعتلي عرش البابوية، وصارت مدينة أفينيون Avignon مقراً لها بدلاً عن روما، وبقيت هناك 72 سنة خاضعة للسّلطة الملَكية، وأُطلق على هذا الحدث **'الأسر البابوي'**، وحدث ما عُرف تاريخيا بـ: **الانقسام (الانشقاق) البابوي العظيم The Great Papal Schism**، وصار التفكّك ظاهرا في العالم المسيحي، وأصبحت سلطة البابا موضع جدل ونقاش، إلى أن حُسمت المسألة؛ بانتخاب بابا واحد، وعادت الكنيسة الكاثوليكية إلى روما كمقر واحد للبابوية.

3- بقيت الكنيسة البابوية فاسدة؛ مما دفع المصلحين والمفكّرين إلى البحث في المسألة والمطالبة بالإصلاح الديني، وقد مرّ الإصلاح الديني في أوربا بمرحلتين هما:

المرحلة الأولى: محاولات الإصلاح من الداخل : ظهر خلالها العديد من المصلحين، من أمثال "جون ويكلف" John Wyclif (1330-1384) وهو لاهوتي ومصلح ديني إنجليزي، و "جون هسْ" John Huss، في بوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) (1373-1415) الذي نادى بالعودة إلى الكتاب المقدس بوصفه المصدر الأساسي للمسيحية.

ومع نهاية القرن الخامس عشر ظهر أشد دعاة الإصلاح نفوذا وهو إرزموس Erasmus (1469-1536) الذي أثار بكتاباته المثقّفين، وأصبح له أتباع وتلاميذ يبحثون في مساوئ الكنيسة، ونجحوا في إقناع الرأي العام بفكرة الإصلاح الديني.

المرحلة الثانية: حركات الإصلاح من الخارج:

لما فشلت عملية الإصلاح من الداخل، ظهر مصلحون يُطالبون بالإصلاح إما قسراً أو اختياراً، وهذه هي المرحلة الثانية التي كان مارتن لوثر أوّل زعمائها وأبرزهم وأشدهم تأثيراً في تاريخ الإصلاح الديني، وقد بدأت حركته الإصلاحية من ألمانيا.

ثانيا: الظروف التي ظهرت فيها حركة الإصلاح الديني:

ظهرت حركة الإصلاح الديني مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، في ظروف تميّزت بما يلي:

1- هيمنة الكنيسة الكاثوليكية وسيطرتها على السلطتين الدينية والدنيوية.

2- فشلها في الحروب الصليبية (القدس- الأندلس).

3- الظروف السياسية التي شهدتها أوربا من حروب وصراعات، على سبيل المثال: حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا 1337-1453م، وحرب الوردتين 1455-1485م.

4- الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة في أوربا، وما نجم عنها من حروب إقطاعية، التي أدّت إلى هلاك المئات من الإقطاعيين، ثم انهيار النظام الإقطاعي.

5- انشغال رجال الدين بالشؤون الدنيوية؛ من جمع للمال والتدخّل في الشؤون السياسية، وانغماسهم في اللّهو والمجون، بالإضافة إلى سلوكهم الفاسد بمختلف رتبهم (قساوسة- رهبان- كرادلة- بابوات).

ثالثا: عوامل انطلاق حركة الإصلاح من ألمانيا:

اجتمعت عدة عوامل جعلت ألمانيا مهيأة أكثر من غيرها من الأقاليم الأوربية؛ لبروز حركة الإصلاح الديني، وتتمثل هذه العوامل في:

1- كانت المعتقدات الدينية في ألمانيا أرسخ منها في إيطاليا، وظهر فيها مفكرين انتقدوا الكنيسة البابوية، وساعد على نشر أفكارهم؛ اختراع الطباعة من طرف الألماني يوحنا جوتنبرغ.

2- انقسام ألمانيا إلى مئات من الولايات شبه المستقلة سياسياً التابعة اسمياً فقط لحكم الإمبراطور.

3- الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والروحية تجمعت في مطلع العصور الحديثة، حيث كانت الطبقة المتوسطة تحاول استعادة ما كان لها من ثروة ومركز اجتماعي محترم تمتّعت به خلال العصور الوسطى.

4- وجود طبقة الفرسان وهم من النّبلاء، وذوي شأن حربي خطير في العصور الوسطى، وعندما انقسمت الإمبراطورية في بداية العصور الحديثة، فقد الفرسان أهميتهم.

5- فقدان طبقة الأمراء والنّبلاء لأملاكها ونفوذها، حيث أن أغلب موارد الأرض تذهب للكنيسة في روما.

وهكذا جاءت حركة مارتن لوثر للتعبير جماعية عن إرادة الشعب الألماني في تغيير الأوضاع السائدة.

رابعا: مارتن لوثر وحركة الإصلاح الديني (1483-1546):

وُلد مارتن لوثر في مقاطعة سكسونيا في قرية إزلبن Eisleben، لأبوين فقيرين يعملان في الزراعة، وبيئة مليئة بالشعوذة والخرافات الدينية، الأمر الذي أثّر في شخصيته وجعله قلقاً خائفاً من العذاب، وكان يميل إلى التعبّد مذ طفولته.

درس لوثر في جامعة إرفورث Erfurt القانون، وقرّر سنة 1505 الانخراط في سلك الرهبنة بحثاً عن الخلاص، وتمّ ترسيمه سنة 1507 في دير أوغسطين كاهناً. حصل على الدكتوراه في علم اللاهوت، كما بدأ التدريس في جامعة وتنبرج Wittenberg بمقاطعة سكسونيا مذ سنة 1508.

اشتهر لوثر بأفكاره الإصلاحية والتفّ حوله الرواد، وفي سنة 1510 زار روما واطّلع هناك على مفاسد البابوية والانحلال الخلقي، وعاد بانطباع سيئ عن رجال الدين، فأعلن رفضه لصكوك الغفران، وواصل بحثه إلى أن اهتدى إلى نظرية سُميت بعقيدة **التبرير بالإيمان**، وتتلخّص فيما يلي:

- الغفران مرتبط بالعمل الصالح والإيمان مسألة فردية.
- نفي العظمة عن رجال الدين.
- منع ترويج صكوك الغفران.
- الرجوع إلى الكتاب المقدّس وفهمه فهما صحيحا.

عاش لوثر عدّة سنوات يُبشر بهذه العقيدة بين تلاميذه بهدوء إلى سنة 1517م التي مثّلت بداية الحركة اللوثرية، حينما أرسل البابا راهباً يُدعى جون تتزل Tetzel، ليبيع صكوك الغفران في سكسونيا، فقرّر مارتن لوثر أن يعلن احتجاجه، وتصدّى لهذا الراهب ومزّق صكوك الغفران أمام الملأ. وانتهز فرصة الاجتماع العادي في كنيسة وتنبرج في أول نوفمبر، وعلّق مارتن لوثر على باب الكنيسة احتجاجاً طويلاً من 95 مادة ضد صكوك الغفران قال فيه أن الغفران رهن برحمة الله وحدها، وليس من شأن البابا، ثم دعا لوثر كل من يشاء من العلماء لمناقشة الحجج التي ساقها. و أصر لوثر أثناء النقاش أنّ الكتاب المقدس وحده هو القانون الوحيد لتفسير العقائد، وأن كل شخص مثقف باستطاعته أن يقرأ الإنجيل، وهو حر في تفسيره، وليس للبابا الحق في احتكار تفسيره، وكذلك يجب إباحة الزواج للقسيسين، وإخضاع رجال الدين للسلطة الزمنية.

وفي سنة 1519 نشر مارتن لوثر عدة كتابات تشرح العقيدة الجديدة، ووجّه الدعوة لأمراء ألمانيا وفرسانها كي يتزعّموا بأنفسهم حركة الإصلاح الديني، ودعا لاستقلال الكنيسة في ألمانيا عن كنيسة روما. ومن بين مبادئ الحركة اللوثرية:

- الإنجيل la bible هو المرجع الوحيد لقضايا الإيمان والعقيدة، وليس البابا أو الكنيسة.
- رفض عبادة العذراء والقديس، و نادى بعدم ضرورة الحج إلى روما
- السماح بزواج رجال الدين، وقد تزوّج لوثر الراهبة 'كاترين فان بورا' سنة 1525م.

*** رد الكنيسة على لوثر:**

أصدر البابا ليو العاشر في ديسمبر 1520 **'قرار الحرمان'** ضد لوثر، فقام لوثر بحرق هذا القرار علانية أمام الملأ في ساحة مدينته، وبذلك انقطعت كل صلة بين لوثر والكنيسة. وتفاقم الأمر حتى أن البابا طلب من الإمبراطور 'شارل الخامس' أن يلقي القبض على لوثر وأن يقمع حركته، وتنفيذ قرار الحرمان الصادر ضده باعتباره مارقاً وخارجاً عن المسيحية.

مَثُل لوثر أمام مجلس يمثل الإمبراطورية في مدينة ورمس Worms لمحاكمته في يناير 1521م، وتمسّك أمام المجلس بكل مواقفه السابقة، فاعتبر خارجاً على القانون وحُكم عليه بإهدار دمه وحرمانه من الحقوق المدنية في الإمبراطورية، إلاّ أن فريدريك أمير سكسونيا وآخرين من أمراء شمال ألمانيا وضعوه تحت حمايتهم، فلجأ لوثر إلى قلعة حصينة تحت حماية فريدريك، وبذلك نجا من العقوبة، وأقام هناك لمدة عام ترجم أثناءه الإنجيل إلى اللغة الألمانية، وكان لهذه الترجمة أثرٌ كبير في إحياء الأدب الألماني، ورفع درجة وعي الناس.

*** موقف الإمبراطور شارل الخامس:**

كان الإمبراطور شارل الخامس في ظروف سياسية لا تسمح له باتّخاذ موقف حازم ضد الحركة اللوثرية منها:

1- صراعه مع العثمانيين شرقا وغربا؛ فالخطر العثماني أصبح على مشارف مدينة فيينا، وكان من مصلحته كسب تأييد الإمارات الألمانية، حتى وإن اعتنقت المذهب اللوثري، وفي الغرب كان الخطر الإسلامي مازال يتهدّد بلاد الأندلس.

2- صراعه الإقليمي وتنافسه الحاد مع ملك فرنسا فرانسوا الأول.

أما البابا في روما، فلم يتوقف في الإلحاح على الإمبراطور؛ بضرورة ضرب الحركة اللوثرية ووأدها في المهد، لكن هذه الأخيرة ازدادت انتشارا وقوة، وكان من نتائجها الأولية:

1- اندلاع ثورة الفرسان 1523م:

كانت طبقة الفرسان ساخطة على الوضع الاقتصادي، ومتحفّزة للثورة ضد النظام السياسي والاجتماعي الذي لم يعد يوفّر لها امتيازاتها السابقة، فاغتنم هؤلاء ظهور الحركة اللوثرية، ورأوا فيها فرصة لانتزاع أراضي الكنيسة... لكن لوثر امتنع عن تأييد هذه الثورة، حيث رأى فيها خروجا عن مبادئه، وتحالف مع النبلاء ضد الفرسان.

2- ثورة الفلاحين 1524م:

وضع الفلاحون بيانا في مارس 1525م، طالبوا فيه بإلغاء رقّ الأرض وتحديد قيمة الإيجار، ومنح كل جماعة الحق في اختيار وتعيين القسس في الكنائس، وقد طالب الفلاحون أيضا بأن تُنظَر مطالبهم بناء على الكتاب المقدّس، رافعين شعار: " **لن نكون بعد اليوم عبيدًا؛ لأن المسيح جعلنا أحرارًا**".

هاتان الثورتان كانتا تهدفان في الحقيقة إلى الاستيلاء على أملاك الكنيسة والأشراف الإقطاعيين، فجاء موقف مارتن لوثر ضد استخدام العنف، وانضم إلى الجيش الإمبراطوري لإخمادهما، وهكذا بقيت الطريقة التي واجه بها لوثر الثورتين، نقطة سوداء في تاريخ الحركة اللوثرية، وقد فقدت هذه الحركة شعبيتها واضطر مارتن لوثر إلى الاعتماد على الأمراء والحكومات الألمانية.

كان موقف فرنسا وإنجلترا مؤيّدًا للحركة اللوثرية، نكاية في شارل الخامس، الذي احتار في أمره؛ فتارة يعلن مبدأ التسامح الديني، وتارة أخرى يعلن حربه على اللوثريين، وهو ما حصل عام 1529م، عندما تراجع عن قراره الخاص بحرية اعتناق المذهب الجديد، مما حدا بأنصار لوثر إلى الاحتجاج فأصبحوا يُعرفون منذ ذلك التاريخ باسم **'المحتجين les protestants'**، وهو تاريخ ميلاد المذهب البروتستانتي.

بعد عقد المجمع الإمبراطوري في أوغسبورغ عام 1529م، تطوّرت الأحداث وتجدّد القتال بين البروتستانت وجيش شارل الخامس الذي كانت تدعمه الفئات الكاثوليكية، وعلى الرغم من انتصار الإمبراطور، إلا أنّه لم يستغل هذا النصر للقضاء على خصومه من أنصار مارتن لوثر، وقد توفّي هذا الأخير في سنة 1546م، تاركا ألمانيا في حالة حرب.

في عام 1556م، تخلّى شارل الخامس عن العرش بعد الهزيمة التي ألحقها به البروتستانت، وتربّع على عرش الإمبراطورية شقيقه فيليب الثاني، واستطاع أن يهزم البروتستانت من جديد، كما نجح في التوفيق بين الطائفتين (الكاثوليكية والبروتستانتية) في ألمانيا، حيث سمح لكل أمير ألماني باعتناق المذهب الذي يريده، فاعتبر ذلك بمثابة نصرا للبروتستانتية والمذهب الجديد، ونصرا للقومية الألمانية، وهزيمة للكنيسة في روما، كما كرّس هذا الأمر الانقسام الديني في ألمانيا.

خامسا: الإصلاح الديني في فرنسا وظهور مذهب كالفن:

كان الوضع في فرنسا تحت سيطرة نظام ملكي قويّ ومتماسك، استطاع أن يوقف التدخلات السافرة للكنيسة البابوية في الشؤون الداخلية الفرنسية، وكان رجال الدّين الفرنسيين خاضعون للملك، ومع ذلك تسرّبت الحركة اللوثرية إلى فرنسا عن طريق بعض الدعاة ولقيت قبولا من طرف الفرنسيين، وقد ساعد على ذلك ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية السيئة.

رغم تصدّي جامعة السوربون للحركة اللوثرية وتنديدها بالمذهب الجديد منذ عام 1521م، إلاّ أنّ ذلك لم يحل دون انتشار اللوثرية في أكبر المدن الفرنسية تعصّبًا للكاثوليكية مثل: باريس وليون، وقد ساعد على ذلك؛ أنّ الملك 'فرانسوا الأول' كان من المعجبين بالإصلاح عموما، غير أنّه أمام ضغط رجال الدين، وضغط البابا، اضطرّ إلى مواجهة اللوثريين بقسوة وعنف.

في ظلّ هذه الظروف ظهر المصلح الفرنسي جون كالفن John Calvin الذي بدأ دعوته والتفّ حوله الناس. وقد اضطرّ كالفن؛ نتيجة القمع والاضطهاد الشديدين الذي تعرّض له أتباعه إلى الانتقال إلى سويسرا التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المقدّسة، وكوّن بمدينة جنيف حكومة دينية متشدّدة (ثيوقراطية)؛ وكان من بين أحكامها: الحرق للكفار والقتل للزناة... وقد أقام كالفن كنائس منفصلة عن الكنيسة البابوية. والمؤكد أن كالفن كان يتفق مع لوثر في الكثير من النقاط، ويختلف معه في أنّه يدعو إلى ضرورة إخضاع الحكومة للكنيسة، بينما لا يعارض لوثر خضوع الكنيسة للسلطة السياسية.

رغم اتّفاقه مع لوثر من حيث المبدأ (الإيمان بالتبرير)، إلا أنّه يختلف معه في قضية الغفران؛ حيث يعتقد كالفن أنّ مصير الإنسان مقدّر منذ الأزل؛ أي أنه يعتمد مبدأ **الإيمان بالجبرية (مذهب القدرية)**.

انتشرت الكالفينية (نسبة إلى كالفن) في بلدان أوربية عديدة كإنجلترا، بلجيكا، المجر، إسكندنافيا، اسبانيا، إيطاليا، ووصلت إلى أمريكا ضمن حركة الكشوفات الجغرافية.

لما توفي الملك فرانسوا الأول، انتقل الحكم إلى ابنه 'هنري الثاني'، الذي استمر في نهج سياسة والده بضرب بروتستانت فرنسا (الهوجونوت Huguenots) بقوة، إلا أنّ هذا الأسلوب لم يؤدّ إلى معالجة المشكلة، بل إن الأمور في فرنسا كانت تزداد تعقيدا، واندلعت الحرب الأهلية بين الطائفتين الكاثوليكية والبروتستانتية في عهد الملك 'هنري الثالث'، خاصة بعد سيطرة والدته 'كاترين دي مديتشي' (وهي من أصل إيطالي) على الحكم، والتي ارتكبت مجزرة كبيرة ضد البروتستانت يوم 24 أوت 1572.

في عهد الملك 'هنري الرابع' (1589-1610) ازدادت الحرب ضراوة؛ لأنه أعلن اعتناقه للمذهب البروتستانتي، وقد لقي الكاثوليك الدعم الخارجي من ملك اسبانيا 'فيليب الثاني' (جاء بعد شارل الخامس). و لم يوقف هذا التريف في فرنسا، إلا إعلان 'هنري الرابع' عودته إلى الكاثوليكية، وإصداره لقرار يسمح للبروتستانت بممارسة طقوسهم داخل كنائسهم بكلّ حرية وفق مرسوم نانت سنة 1598م، الذي حقّق التسامح الديني، حينئذ فقط حصل الملك على اعتراف ومباركة رجال الدين في فرنسا والبابوية في روما.

سادسا: الإصلاح الديني في إنجلترا:

جاء الإصلاح الديني في إنجلترا مختلفا وذو طابع خاص، حيث تمّ على يد الملك وبمشاورة البرلمان؛ بمعنى أنّه كان إصلاحا رسميا، و لم يكن في شكل حركة دينية شعبية، كما كان الحال في أقاليم أوربية أخرى، وأهداف الإصلاح لم تكن عقائدية بالدرجة الأولى وإنّما سياسية.

تميّز تاريخ إنجلترا الحديث بسيطرة أسرة 'تيودور' على الحكم لمدة طويلة من الزمن، وذلك بعد حرب الوردتين. وقد تمكّن الملك 'هنري السابع' من حكم انجلترا حكما مطلقا، تميّز بنوع من الاستبداد. وكان الملك يرغب في الارتباط باسبانيا عن طريق المصاهرة، بغية تأسيس تحالف قوي يمكّنه من تزعّم أوربا، فقرر تزويج ابنه 'آرثر' من ابنة حكام اسبانيا آنذاك (فرناندو و إيزابيلا) التي تدعى 'كاترين'. لكن وفاة 'آرثر' أفسد على "هنري السابع' خطته.

ارتبط الإصلاح في إنجلترا بأهداف شخصية لملوكها، وهو ما حصل مع الملك 'هنري الثامن' (1509-1547)، فلمّا لم تنجب له 'كاترين' الاسبانية ولي العهد قرر تطليقها والزواج من 'آن بولين Anne bouline' ، لكن البابا في روما رفض هذا الطلاق فوقع الملك في مأزق وحقد حقدا شديدا على البابا، فأشار عليه أحد مستشاريه بالانفصال عن الكنيسة في روما؛ بغية تحقيق هدفين أو ضرب عصفورين بحجر واحد: الطلاق من كاترين، والتخلّص من الكنيسة الرومانية (أن لا يتدخل البابا في الشأن الديني داخل

إنجلترا)، ومن هنا ظهر ما يسمى بـــ **الأنجليكانية** (الكنيسة الإنجليزية القومية)، وهو مصطلح يستخدم لوصف الناس والمؤسسات والكنائس؛ فضلا عن التقاليد الدينية والطقوس والمفاهيم التي أنشأتها كنيسة إنجلترا.

وقد حدث الانفصال بين الكنيسة الإنجليزية وروما عام 1534م، بعدما أصدر البرلمان الإنجليزي قانونا يعرف بـــ **قانون السيادة**، تمّ بمقتضاه وضع الكنيسة تحت سلطة الملك العليا. ومع ذلك لم تعرف الأوضـــاع في إنجلترا الاستقرار المطلوب، ففي عهد الملكة 'ماري الدموية' 1553-1558 (وهي ابنة كاترين الاسبانية، و كانت متعصبة للكاثوليكية، وقد أعدم في عهدها أكثر من 300 شخص حرقا في إنجلترا بتهمة الهرطقـــة). فعهد الملكة ماري تميّز إذن بالعنف ضد البروتستانت، كما أعادت العلاقات مع الكنيسة البابوية.

أما في عهد الملكة 'إليزابيت' 1558-1603 (حكمت لـــ39 سنة كاملة، وهي ابنـــة آن بـــولين)، فعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه في زمن هنري الثامن، وتزعّمت حركة الإصلاح الديني، واستطاعت أن توفّق بين المذهبين من خلال إصدارها **قانون المذهب الموحّد** الذي أكّد على العقيدة الأنجليكانيـــة؛ وبـــذلك أصبحت الكنيسة الإنجليزية بروتستانتية العقيدة وكاثوليكية في بعض الطقوس والمظاهر. كما يسجّل لإليزابيت وقوفها إلى جانب البروتستانت في ألمانيا واسبانيا وفرنسا؛ مما أدّى إلى عداء حكام هذه المناطق لها، وقد قـــام الملك الاسباني 'فيليب الثاني' بتوجيه أسطول بحري ضخم لضرب إنجلترا، لكنّه منى بهزيمة نكراء، وكان لهـــذا الأمر أثر سيء على مستقبل اسبانيا الكاثوليكية.

سابعاً: حركة أولريتش زوينجلي في سويسرا:

أولريتش زوينجلي (1483-1531) Ulrich Zwingli: مصلح ديني ظهر في سويسرا، اهـــتم بدراسة المسيحية وانخرط في سلك الرهبنة، كما درس اللاهوت، وكان مهتما كذلك بدراسة العلوم القديمـــة وبحركة الإصلاح الديني متأثرا بالمصلحين إرزمس ولوثر، ، وقد ساعد على انتشـــار حركتـــه الداعيـــة إلى الإصلاح؛ تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية الذي كانت تعرفه سويسرا، فعلى الرغم مـــن استقلالها، إلا أنها بقيت خاضعة للإمبراطور 'شارل الخامس'.

تعتبر حركة 'زويجلي' ذات منطلقات دينية وأخلاقية ووطنية، فهو لم يتردّد في الدعوة إلى الانفصـــال التام عن روما، كما اشتهر بتصدّيه لبيع صكوك الغفران في مدينة 'زيورخ'، وعارض عبادة التماثيل والصور.

كان 'أولريتش زوينجلي' يدعو إلى حرية الفكر، والالتفاف حول مطلب قوي واحد؛ هو اســـتقلال سويسرا، ومن أبرز مبادئه:

- تأسيس كنيسة منفصلة عن روما.
- إخضاع السلطة الزمنية (الدنيوية) للكنيسة المحلية.
- تحريم استعمال اللغة اللاتينية في الصلاة.
- الإنجيل هو المرجع الوحيد للإيمان والعقيدة.

- السماح بزواج رجال الدين.

اعتمد 'زوينجلي' على القوة والعنف لتحقيق مبادئه (عكس كثير من المصلحين الآخرين)، وقد امتزجت حركته بالطابع القومي، ودعت إلى عدم الانخراط في صفوف الجيوش الأجنبية، وقد واجه الإمبراطور 'شارل الخامس' هذه الحركة بوحشية، وقُتل 'زوينجلي' في معركة 'كابيل' بين الكاثوليك والبروتستانت بتاريخ 11 أكتوبر 1531م.

ثامناً: الثورة في الأراضي المنخفضة ضد اسبانيا 1566-1609:

كانت اسبانيا في هذه الفترة تحت حكم الإمبراطور 'شارل الخامس'، الذي كان غارقا في صراعاته ضد فرنسا وضد العثمانيين، وكانت الأراضي المنخفضة les pays bas (هولندا وبلجيكا حاليا) تحت حكم 'فيليب الثاني'، وقد انتشرت البروتستانتية في الأراضي المنخفضة على غرار باقي الأقاليم الأوربية، فقام 'شارل الخامس' بقمعها بالقوة، وتسبّب ذلك في قيام ثورة بقيادة 'وليام أورانج'.

ورغم محاولات الإسبان السيطرة على الوضع والتفريق بين مقاطعات الشمال والجنوب، إلا أنّ 'وليام أورانج' استطاع أن يوحدها، ويكوّن قوة عسكرية لا يُستهان بها، ألحقت العديد من الهزائم بالجيش الاسباني، إلا أنّ المكافأة التي رصدها الملك 'فيليب الثاني' لمن يأتيه برأس أورانج يبدو أنها قد أتت أكلها، حيث قام أحد الطامعين فيها باغتيال أورانج.

لم يؤد قتل زعيم الثورة إلى إخمادها، بل على العكس من ذلك، ازدادت انتشارا ولقيت الدعم من الخارج (انجلترا وفرنسا)، وأمام طول أمد هذه الثورة وفداحة الخسائر الاسبانية فيها، اضطر النظام الاسباني إلى الاعتراف باستقلال الأراضي المخفضة في معاهدة وستفاليا 1648.

* **معاهدة وستفاليا: أو صلح وستفاليا paix de Westphalie 1648**: وقد كتبت بنودها بالفرنسية، وأنهت هذه المعاهدة عدّة حروب دينية في أوربا، آخرها حرب الثلاثين سنة (1618-1648) وحرب الثمانين سنة بين اسبانيا والأراضي المنخفضة. ويعتبر صلح وستفاليا أول اتفاق دبلوماسي من نوعه في أوربا خلال العصور الحديثة، فقد أرسى نظاما سياسيا جديدا مبنياً على مبدأ سيادة الدول (التأسيس للدولة القومية)، وقد تمّ هذا الصلح على حساب الكنيسة الكاثوليكية، التي اضطرت إلى التراجع عن ممارساتها، وفقدت الكثير من ممتلكاتها ونفوذها.

فكيف سيكون ردّ الكنيسة الكاثوليكية؟